

شخصية العدد

المرحوم يوسف عتيق (1947-2022)

عمدة الرياضيات في المدرسة العليا للأساتذة، القبّة



انتقل إلى رحمة الله الأستاذ يوسف عتيق عشية يوم الأحد 4 سبتمبر 2022، وهو الذي تقاعد عام 2017 بعد أن اشتغل في البحث والتدريس الجامعي منذ 1971. فقد اشتدّ المرض الذي ألمّ به منذ تلك السنة، وصارت معاناته تتفاقم عبر الأيام والأشهر، وكان طيلة حياته من الصابرين الذين لا نسمع منهم شكوى إلا نادرا.

مشوار حافل بالمنجزات

ولد المرحوم يوسف عتيق يوم 24 جوان 1947 بعين طابية، دائرة تمالوس (ولاية سكيكدة). وقد أنهى دراسته الثانوية عام 1968 وسجل بكلية العلوم في فرع كان يسمى "الرياضيات العامة والفيزياء" (MGP) بجامعة الجزائر، وهو الفرع الذي يؤدي بصاحبه إلى الليسانس في الرياضيات. وفي عام 1971-1972 تحصل على دبلوم الدراسات المعمقة، ثم على دكتوراه الطور الثالث في الرياضيات التطبيقية عام 1978 من جامعة الجزائر في موضوع خاص بالأوساط المسامية ذي العلاقة بالمحروقات. ثم تفرغ خلال الفترة 1991-1993 للحصول على دكتوراه الدولة في الرياضيات المجردة من جامعة بواتييه Poitiers الفرنسية.

وظلّ المرحوم يدرّس خلال الفترتين 1971-1991 / 1993-2017 دون انقطاع، أي ما مجمله 44 سنة في ممارسة مهنة التدريس. وقد عُرف في الجانب المني وحياته العامة بصرامته التي لا تضاهى واستقامته مع الجميع (الزملاء والطلبة والإداريين) وبدقة مواعيده في كل الظروف. ولم يكتف المرحوم يوسف عتيق بأداء واجباته في باب التدريس، بل شمل نشاطه تسيير السنة الأولى بالمدرسة العليا للأساتذة القبّة من 1977 إلى 1989، ثم إدارة قسم الرياضيات من 1985 إلى 1989.

كما شغل منصب نائب مدير المدرسة المكلف بالدراسات العليا، وكان مسؤول ماجستير الرياضيات خلال الفترتين 1987-1998 و 2011-2013، ورئيسا للمجلس العلمي للمدرسة خلال 1999-2000، ومديرا لمخبر المعادلات التفاضلية الجزئية وتاريخ الرياضيات خلال 2000-2003، ورئيس الجمعية الوطنية لتاريخ الرياضيات التي تأسست

عام 1988، وكان مقرها بمدرسة القبة. ولا ننسى أن الفقيه كان أيضا عضوا مؤسسا للجمعية الجزائرية للرياضيات عام 1988.

وليس هذا فحسب بل شغل كذلك منصب رئيس تحرير المجلة المغربية للرياضيات خلال 10 سنوات (1994-2004). وقد عرفت هذه المجلة الفريدة نجاحا لم تعرفه إلا القليل من المجلات الأكاديمية. ومن المعلوم أنها كانت مجلة الرياضيات الوحيدة على مستوى المغرب العربي إبان تلك الحقبة.



غلاف المجلة المغربية للرياضيات
Maghreb Mathematical Review
التي كان يشرف عليها المرحوم

من مساهماته في مجال الترجمة

من مؤلفاته

وخلال مشواره بالمدرسة العليا للأساتذة بالقبة، وبدءًا من عام 1986 كان ينظم الملتقيات ذات العلاقة بتخصصه وبتاريخ الرياضيات العربية الإسلامية. كما حضر العديد منها في داخل البلاد وخارجها. أما في مجال التكوين في الدراسات العليا، فلم يتوقف عن تقديم المحاضرات لفائدة طلبة الماجستير والدكتوراه. وقد أشرف على مذكرات وأطروحات أزيد من 20 طالبا وطالبة في الدراسات العليا، هم الآن منتشرون عبر المؤسسات الجامعية في البلاد كما هو حال آلاف أساتذة التعليم الثانوي الذين أسهم الفقيه في تكوينهم منذ 1977. ولا يفوتنا أن نذكر، ونحن نستعرض حياة المرحوم ومنجزاته العلمية، أن الظروف المادية دفعته، كما دفعت العديد من أمثاله، إلى العمل في الخليج العربي مدة 5 سنوات. وهكذا ظل يدرّس خلال الفترة 2003-2008 بجامعة الملك خالد بأبها السعودية فأبلى البلاء الحسن. وبالموازاة مع هذا النشاط نجد في قائمة منشوراته الأكاديمية في مجال الرياضيات البحتة والتطبيقية 15 بحثا صدرت في المجلات الأكاديمية العالمية خلال الفترة 1978-2022.

وما كان يميّز الزميل يوسف عتيق من الناحية الوطنية هو نضاله المستميت منذ أجل تعريب تدريس العلوم بالجامعة. فمنذ افتتاح القسم المعرب عام 1971 في كلية العلوم بجامعة الجزائر، انضم إليه مدرّسا باللغة العربية وظل كذلك بالمدرسة العليا للأساتذة بالقبة دون انقطاع. وهذا رغم أن دراسته الجامعية قد تلقاها كلها باللغة الفرنسية مع اتقانه للغة الإنكليزية وإلمامه باللغة الروسية. وفي هذا السياق، نجده قد أسهم منذ 1984 بترجمة 5 كتب رياضية إلى العربية أصدرها ديوان المطبوعات الجامعية في تلك الفترة.

من ذكرياتي مع الفقيد

في عام 1976 عدت من جامعة نيس Nice مع 3 زملاء، وكان المشرف علينا الأستاذ الفرنسي بيير غريزفار Pierre Grisvard (1940-1994) من اليساريين عكف على تكوين عدد كبير من الجزائريين من أجل خدمة بلدهم (ذلك كان مبدؤه). وبعد مناقشة الأطروحات قال لنا قولته الشهيرة: "أنتم أصبحتم الآن عمليين، فعودوا إلى بلدكم". وبعد التشاور قررنا الالتحاق جميعا بجامعة قسنطينة لتكوين "نواة" في اختصاصنا الضيق لتكون جهودنا أكثر فعالية.

وفي سبتمبر 1976، التقيت أول مرة بالمرحوم يوسف عتيق في قسم الرياضيات بجامعة قسنطينة حيث كان يدرس... وكان العزم قائما على أن نكون في نفس النواة، مع أنه كان منضمًا إلى فريق من 6 جزائريين آخرين يحضرون رسائل الدكتوراه ويشرف عليه الأستاذ مارتن زرنير Martin Zerner (1932-2017) من جامعة نيس أيضا وهو رفيق بيير غريزفار. وكان فريق زرنير يعمل على موضوع الأوساط المسامية.

كان المرحوم يوسف عتيق قد أدى خدمته الوطنية خلال الفترة 1972-1974 لأنه لم يغادر البلاد قبل ذلك التاريخ، أما وضعي الشخصي فكان مختلفا إذ استفدت من منحة للخارج حتى عام 1976، وهو ما جعلني أؤجل الالتحاق بالجامعة وأداء الخدمة الوطنية خلال 1977-1979. وكان المرحوم عبد الحفيظ مصطفى (1935-2006)، مديرا للمدرسة العليا للأساتذة بالقبة، وأستاذا للرياضيات بالجامعة منذ الاستقلال، وكانت مدرسة القبة في أمس الحاجة إلى مكوّنين. ولهذا طلبني من وزارة الدفاع لأدّرس بالقبة خلال الخدمة الوطنية بدءًا من سبتمبر 1977. وعند الالتحاق بها تفاجأت بوجود المرحوم يوسف عتيق بمدرسة القبة بعد أن غادر قسنطينة هو أيضا لأسباب أخرى. كما غادرت "النواة" قسنطينة والتحقّت بالعاصمة بين جامعة باب الزوار ومدرسة القبة.



من اليمين إلى اليسار: ع. مقران، ي. عتيق، خ. سعد الله
(القاهرة، أبريل 1987)



مدينة تمالوس، التي طالما تغنى بها
المرحوم يوسف عتيق

وهكذا صرنا زملاء بالقبة منذ ذلك التاريخ، نتعاون وننسق تنسيقا كاملا كل الأعمال الخاصة بالدراسة وقسم الرياضيات في المدرسة. فعلى سبيل المثال، كنا الاثنين مع المرحوم عبد الحفيظ مصطفى قد نظمنا بالمدرسة ندوة أسبوعية (سمنير) في الرياضيات منذ 1977. وكنا بادرنا مع الزميل عبد الحفيظ مقران بإعداد معجم فرنسي/عربي في الرياضيات منذ تلك الفترة، وكنا ثلاثتنا نلتقي خلال إعداده دائما في بيت المرحوم عتيق، وكان يبذل جهدا مضاعفا

مقارنة بجهدنا حتى صدر المعجم لدى ديوان المطبوعات الجامعية، وتكررت طبعاته. كما اشتركنا في ترجمة العديد من الكتب الرياضية.

وفي منتصف الثمانينات، عندما كان المرحوم عتيق يترأس قسم الرياضيات بالقبة، انصب الجهد على إدخال فرع تاريخ الرياضيات العربية للمدرسة بالتعاون مع الأستاذ أحمد جبار المختص في هذا العلم. فتحقق ذلك وصارت المدرسة المؤسسة الجامعية الوحيدة على مستوى المغرب العربي التي تمنح فيها شهادة الماجستير، ثم الدكتوراه في تاريخ الرياضيات. وقد حرص الزميل عبد الحفيظ مقران حرصًا كبيرًا بالتعاون مع المرحوم على فتح ماجستير في ذلك الوقت في اختصاص التحليل الدالي والمعادلات التفاضلية الجزئية، ثم الدكتوراه. فكان التعاون ثمرة وممتدا عبر السنين. وظل هذا الاختصاص وكذا تاريخ الرياضيات مفتوحا (شهادة الماجستير وشهادة الدكتوراه) بالمدرسة حتى أزالته الوزارة شهادة الماجستير في نظام الشهادات بالجزائر وعوضتها بالماستر. وتخرج من المدرسة بفضل هذه الجهود التي كان المرحوم دائما في مقدمتها مئات الطلبة.

كل تلك الأعمال التي قام بها المرحوم يوسف عتيق خلال نصف قرن في سبيل التعليم والتكوين الجاد ونشر الثقافة العلمية والثقافية تعدّ صدقة جارية وعلمًا ينتفع به. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

اختياره كشخصية العدد

في منتصف جويلية 2022، كنت قيد إعداد مادة العدد 4 (سبتمبر 2022) والعدد 5 (جانفي 2023) من مجلة بشارات العلوم. ومن تلك المواد "شخصية العدد"، ولذا فكرت في مهاتفة المرحوم يوسف عتيق لأطلب منه سيرته الذاتية مع بعض الصور ولموافاته بالأسئلة التي ستصدر أجوبتها مع تقديمه ضمن ركن المجلة.

وعندما هاتفته مساء يوم 20 جويلية كان صوته يثبت سوء حالته الصحية، وشرحت له الموضوع باقتضاب، فقال إنه لم يسمع بعد بهذه المجلة، وهو لا يرى مانعا في تلبية الطلب. فقلت له إن الأمر ليس مستعجلا في الإجابة عن الأسئلة وإنه يمكنه إرسالها متى سمحت له ظروفه بذلك. ولم نطل الحديث مراعاة لظروفه الصحية. وقد أرسلت إليه رابط المجلة في نفس اليوم.

وفي يوم 23 جويلية أرسلت إليه الأسئلة العشرة الواردة أدناه، ولم يعقب. وقد رد عليّ متأخرا -عكس عادته- يوم 28 جويلية إلكترونيا، وفي مرفق البرقية بعض الصور الشخصية وسيرته الذاتية مع النص التالي "السلام عليكم وبعد، عذرا على التأخير.. صحتي ليست جيدة والسلام". وهي آخر برقية تلقيتها منه. ولم تصلني الأجوبة عن الأسئلة ولم يعثر ذوه بعد رحيله على أجوبة عنها فيما ترك من الكتابات.

ولذا لجأت لتغطية هذا الجانب التعريفي بالمرحوم لبعض من تعامل معهم عن كثب، وهم الأساتذة: محمد السعيد مولاي (الذي عاشه كثيرا سيما خلال السبعينيات بالجزائر وفي السعودية قبل سنوات)، وعبد الحفيظ مقران (الذي رافقه منذ السبعينيات) وعبد العزيز شوتري (الذي تعاون معه عن كثب في تسيير شؤون المجلة المغربية للرياضيات)، ودوجة هبول (التي كانت أول طالبة أشرف عليها المرحوم في إعداد شهادة الماجستير بالمدرسة).

فيما يلي أقدم الأسئلة التي وافيت بها المرحوم، ولم يتمكن من الرد عنها (بسبب مرضه) متبوعة بشهادات الزملاء الأربعة السابق ذكرهم.

أبو بكر خالد سعد الله

الأسئلة العشرة التي وجهت يوم 23 جويلية 2022 للمرحوم، ولم يتمكن من الرد عنها لظروفه الصحية

السؤال 1: كانت مسيرتكم الدراسية قد وجهتكم عام 1968 أو 1967 نحو متابعة دراستكم في معهد المحروقات ببومرداس. فما الذي جعلكم تغيرون مساركم وتسجلون في كلية العلوم بجامعة الجزائر لدراسة الرياضيات دون غيرها كالكيمياء والفيزياء؟

السؤال 2: عند حصولكم على الليسانس في الرياضيات عام 1971 كان هناك نقص شديد في سلك التدريس بكلية العلوم... وقد فتح في تلك السنة لأول مرة فرع علمي مغرب. وكنتم من الأوائل الذين هتوا إلى التدريس باللغة العربية رغم أنكم لم يسبق لكم أن درستم باللغة العربية. حدثونا عن تجربتكم آنذاك في هذا الإسهام وعن الأجواء التي كانت تسود في ذلك الوقت كلية العلوم بجامعة الجزائر.

السؤال 3: في منتصف السبعينيات فضلتكم الالتحاق بجامعة قسنطينة. كيف كان الوضع آنذاك في تلك الجامعة الفتية مقارنة بجامعة الجزائر؟ وما الذي جعلكم عام 1977 تنتقلون من قسنطينة إلى المدرسة العليا للأساتذة بالقبة؟

السؤال 4: على الرغم من تواصلكم مع عدة جهات جامعية فقد كان إسهامكم الأكبر في المدرسة العليا للأساتذة بالقبة حيث توليتم رئاسة قسم الرياضيات ورئاسة هيئة تحرير المجلة المغربية للرياضيات التي أخذت من وقتكم وجهتكم الكثير خلال سنوات طويلة. كل ذلك تطوعا لرفع مكانة المدرسة بصفة خاصة والجامعة الجزائرية بوجه عام. وقد جعلتكم مع فريقكم مجلة أكاديمية تضاهي المجالات العالمية في البلاد المتقدمة. وللأسف فشل هذا المشروع بمجرد تخلي المدرسة عنه. هل يمكن معرفة كيف كنتم توزعون وقتكم للقيام بكل هذه المهام، ولماذا فشل مشروع المجلة في آخر المطاف؟

السؤال 5: من بين مشاغلكم البارزة تاريخ العلوم العربية الإسلامية منذ مطلع الثمانينيات. وهذا ما سهل تأسيس الجمعية الوطنية الجزائرية لتاريخ الرياضيات عام 1988، وكنتم المشرف عليها. ومن المعلوم أن هذه الجمعية تعاونت كثيرا مع المدرسة العليا للأساتذة حيث يوجد مقرها ومع العديد من الجهات الأكاديمية في تنظيم الملتقيات المتخصصة. كما أدى الأستاذ جبار بوجه خاص دورا بارزا لجعل مدرستنا المؤسسة الوحيدة على مستوى المغرب العربي الكبير التي تمنح شهادات الماجستير والدكتوراه في هذا العلم. هل أنتم راضون على هذا الإنجاز ومسيرته في القبة؟

السؤال 6: ليس سرا أنكم كنتم من المناضلين من أجل رفع راية التدريس بالعلوم باللغة العربية منذ مطلع السبعينيات. وقد ترجمتم الكتب إلى العربية وألقتم بها خدمة لهذا التوجه. غير أن الوضع العام بالجامعة لم يكن ليسهل أداء هذه المهمة. ما هي العراقيل التي واجهتكم في هذا الموضوع منذ السبعينيات إلى نهاية القرن العشرين؟

السؤال 7: في مطلع القرن الحادي والعشرين، ظهر ما عُرف بمشروع إصلاح المنظومة التربوية التي من عواقبها فرنسة الرموز الرياضية والعلمية وإدخال مقاربات تدريس جديدة أبرز نقائصها أنها جعلت مادة الرياضيات في مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي تقتصر على تلقين "وصفات جاهزة" للحفظ والاستظهار. عندما سألنا أحد الخبراء آنذاك في وزارة التربية عن سبب هذا التوجه الذي ينأى بالتلميذ عن الطريق الأسلم في تعلم الرياضيات أجاب أن ذلك شأن الجامعة ولا يخص سوى الطلبة الذين يتخصصون في الرياضيات، أما باقي الطلبة والتلاميذ ف"الوصفات الجاهزة" تسد حاجياتهم. ما رأيكم في ذلك؟

السؤال 8: في منتصف السبعينيات ظهرت في وزارة التعليم العالي مشاريع البحث العلمي، وقد كنتم مع بعض زملائكم (منهم المرحومان عبد الرحمن جعدان وحמיד زيان) ضمن مشروع رائد من هذا القبيل حول الأوساط المسامية الذي له علاقة مباشرة بالمحروقات. كيف عشتم تلك التجربة، مقارنة بمشاريع البحث العلمي الحالية التابعة للمخابر البحث؟

السؤال 9: منذ إنشاء مخبر المعادلات التفاضلية الجزئية بالقبة وأنتم تشرفون عليه حتى غادرتكم إلى العربية السعودية لبضع سنوات. ثم عدتم إليه إلى أن فضلتكم التقاعد لأسباب صحية. وخلال هذا المشوار، بذلتكم جهودا كبيرة ومتواصلة، يشهد بها العام والخاص، لإبراز دور المخبر علميا وبحثيا. غير أنه يبدو لنا أنكم لم تنتهوا إلى ضرورة إعداد شباب -ليس من الناحية العلمية فحسب بل أيضا من ناحية التسيير- يواصلون المسيرة في المخبر. أليس كذلك؟ وهل ترون لهذه الثغرة من علاج؟

السؤال 10: نترك لكم المجال للإدلاء بكلمة أخيرة تختارون موضوعها.

شهادات أربعة زملاء عن المرحوم يوسف عتيق

شهادة الأستاذ محمد السعيد مولاي

كلية الرياضيات، جامعة باب الزوار

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله
كانت تربطني بالمرحوم والمغفور له بإذنه تعالى الأستاذ الفقيه عتيق يوسف صداقة قلّ نظيرها وأخوة لم تشهها
شائبة ولا نالت نوائب الدهر من صفائها، وذلك منذ التقيت به أول مرة.
كان ذلك في الجامعة المركزية سنة 1971، بعد الانتهاء من مرحلة الليسانس ومع بداية الشروع في تطبيق قرار
التدريس باللغة العربية في كلية العلوم بالموازاة مع التدريس القائم آنذاك باللغة الفرنسية.
فقد صدر في صائفة تلك السنة قرار إصلاح شامل للتعليم العالي، إذ كانت الجامعة منذ الاستقلال عبارة عن
امتداد للجامعة الفرنسية منذ نشأتها سنة 1909، امتداد يتجلى من خلال تنظيمها الإداري والبرامج التعليمية، وخاصة
الأستاذة المتعاونين الذين كانوا ذوي كفاءة عالية (مثل روجي غودمان Godement وماكس كاروبي Karoubi وغيرهم).
وقد أبلوا البلاء الحسن في رفع مستوى التعليم، غير أن عدد الطلبة تضاعف وتفاقم، فكانت الحاجة ماسة إلى ما
كان يسمى "بجزارة التعليم" وذلك لأجل توفير إطارات محلية بحجم يناسب المستجدات والحاجيات، وذلك ليس في
التعليم العالي فحسب، بل أيضا في العديد من المجالات الحيوية الأخرى، مثل التكفل بالثورة الصناعية التي انطلقت
مشاريعها في أرجاء الوطن، أو مثل ضرورة التغطية الواسعة للتعليم المجاني الذي تعمم على مختلف الشرائح
الاجتماعية، وما سوى ذلك من المشاريع المقررة التي عجت بها البلاد من أقصاها إلى أقصاها حتى صار الوطن كله
"ورشة عمل" كما كان يقال.

وكنت قد عينت حينها معيدا في أحد المقررات المدرسة باللغة الفرنسية. فلما أعلن عن افتتاح القسم العربي
تعرفت لأول مرة على المرحوم الأستاذ الفقيه يوسف عتيق، وكان حريصا على اقتحام ذلك القسم، فتشجعت معه
لنخوض سويا في معركة التعريب وتحدياته المختلفة في مرحلتها الأولى، كصياغة المصطلحات وتوفير المراجع وما سوى
ذلك.

والتحقت معه خلال السنة الموالية بالدراسات المعمقة التي أشرف عليها متعاونون أجنب، من بينهم الأستاذ
القدير بيير غريزفار Grisvard الذي تكفل بتدريس مقرر التحليل الدالي والمعادلات التفاضلية الجزئية. وقام المرحوم
يوسف عتيق بتدوين محاضرات ذلك المقرر، مما ساعد طلبة الدراسات المعمقة على استيعاب المحاضرات وتيسير
مراجعتها.

كما أن الأستاذ بيار غريزفار قام بتدريس أحد المقررات في طور الليسانس (وحدة المعادلات التفاضلية) وأصدر
مطبوعة جامعة لدروس ذلك المقرر باللغة العربية بعد أن اجتهد في تعلمها مما زادنا عزمًا وهمة لرفع التحديات المحيطة
بتدريس العلوم الحديثة باللغة العربية.

وبعد نيل شهادة الدراسات المعمقة، كان الفراق بيننا جغرافيا وليس روحيا، إذ تحصلت برفقة الزملاء أبو
بكر خالد سعد الله وقدر مرابط ومحمد موساوي على منحة للدراسة في الخارج، والتحقنا بجامعة نيس الفرنسية
حيث استقبلنا الأستاذ المشرف علينا بيار غريزفار لأجل التحضير للدكتوراه في جامعة نيس، بينما التحق الفقيه
بالخدمة الوطنية، ثم زاول بحوثه في التحضير للدكتوراه تحت إشراف الفرنسي م. زرنار Zerner وبالتعاون مع الإيطالي
ج. جيمونا Geymonat اللذين قدما بحنكة وإخلاص إعانات ثمينة في مجال البحث العلمي في الرياضيات التطبيقية
المتماشية مع تنمية الاقتصاد الجزائري.

إذ كان من فضل الله تعالى آنذاك على طلبة الدكتوراه ممن فضّل البقاء في الوطن أو اضطر لذلك، أن تقدم الأستاذان -زرنار وجيمونا- بأول مشروع في البحث بعد الاستقلال في مجال الأوساط المسامية، والمسعى بمشروع "مخروط الماء" (le cône d'eau) والذي كان له علاقة مباشرة مع مسائل الغاز والمحروقات.

فكان الفقيه من الأوائل، مع المرحوم حميد زياني، الذين خاضوا غمار البحوث في هذا المجال، وهو مجال كان قد تعرّف عليه فيزيائياً من خلال دراساته الأولى في معهد المحروقات (بومرداس) قبل أن يُقبل عليه بالبحث رياضياتياً. وقد تُوّجت أشغاله في البحث بمقالات نشرت في مجلات مرموقة، وتقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه من الطور الثالث بدون مغادرة الوطن، وكان حقاً من أوائل الباحثين في علوم الرياضيات التطبيقية حيث انتهج منهجها الحديث والقائم على أبعاد ثلاث: التحليل والنمذجة والمحاكاة. ثم واصل بحوثه في نفس المجال إلى أن تحصل بامتياز على شهادة دكتوراه دولة.

واجتهد لمدّ الجسر بين الدراسات الجامعية والمؤسسات الاقتصادية، من بينها على وجه الخصوص شركة سونطراك الوطنية، فتكوّن على يده في هذا الإطار العديد من طلبة الماجستير والدكتوراه، منهم بالشراكة مع مركز البحوث التابع للشركة المشار إليها والكائنة بمدينة بومرداس.

وكان قد فضل العمل في المدرسة العليا للأساتذة بالقبة. وقد أحسن الاختيار بناء على طموحاته في تطوير التدريس بالعربية والتعريف بتاريخ تراث من اشتغلوا بها في مجال علوم الرياضيات والفلك خصوصاً، سواء في البلاد العربية أو الأعجمية. ذلك لأن أغلب الجامعات تخلت رويداً رويداً عن التدريس باللغة الوطنية واستمر الاستغناء عنها بمرّ السنين. فما بقي الآن من المؤسسات الجامعية المحفوظة بها سوى عدد لا يكاد يذكر، منها المدرسة المشار إليها التي صمدت في وجه محاولات عديدة لوأد توجهها اللغوي وإخماد شعلة دراساتها العليا.

وبعد عودتي إلى أرض الوطن على إثر الانتهاء من دراسات الطور الثالث سنة 1976 التي تصبّ في المسائل المطروحة في فضاءات منعدمة الملوسة لاحتواء حدود مجالاتها على زوايا حادة أو منفرجة، عُيّنت بجامعة هواري بومدين بباب الزوار والتحقّت فيها بفريق عمل اشتغل في جانب من بحوثه بدراسة الأوساط المسامية، فخضت معهم في دراسة مسائل منها. وبذلك ازدادت علاقتي إحكاماً بأخي يوسف عتيق. فما من أطروحة أشرفَ عليها إلا ودعاني لمناقشتها، وما من ملتقى في تاريخ الرياضيات العربية إلا وأكرمني بحضورها، وما من كتاب ألفه إلا وأطلعني عليه. وقد ألّف عدداً معتبراً من الكتب المختصة والمنشورات لسدّ فراغ المكتبة العربية وإثرائها.

وفي أوائل القرن الجاري تحصلت على منصب في جامعة أمها السعودية، والتحق بها أخي يوسف مع زوجته الكريمة في السنة الموالية. بعد أن قدمت ملفه مباشرة إلى عميد الكلية، فعشنا سوياً بضعا من السنين كانت من أسعد أيامنا، حيث كنا نتوجه في آخر الأسبوع إلى البقاع المقدسة. واعتمرنا مرات عديدة وأدينا فريضة الحج كلما فضلنا المكوث في المملكة على زيارة الأهالي في أرض الوطن في فترات الإجازة. كما قدمنا ما استطعنا من خدمات في تلك الجامعة الفتيّة، منها التحضير لبرامج الماجستير والدكتوراه، وتطبيق مبادئ الجودة في التعليم الجامعي.

رحم الله فقيد الجامعة الجزائرية الذي أفنى حياته في خدمتها، مساهمة منه في التدريس وتطوير العلوم باللغة العربية، فكان على خطى ثابتة سار على منهجها الأولون ممن شيّدوا حضارة شامخة، ازدهرت فيها مختلف العلوم والمعارف، واحتضنتها كلها لغة الضاد، تلك اللغة التي شغفته حبا لأنها لغة الوطن، بل لأنها كما وصفت نفسها على لسان الشاعر حافظ إبراهيم:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية *** وما ضقت عن أي به وعظّات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة *** وتنسيق أسماء لمخترعات

أسكنك الله أخي يوسف فسيح جنانه، وألحقتنا بك في الصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شهادة الأستاذ عبد الحفيظ مقران

قسم الرياضيات، المدرسة العليا للأساتذة-القبة

عزيزي سي عتيق، ماذا أستطيع أن أكتب عنك يا أعلى الأعماء؟

لقد طلب مني الأخ خالد سعد الله المساهمة بشهادة لتُنشر في مجلة البشائر بالمدرسة، حول الأستاذ الراحل يوسف عتيق وعلاقتي به. في الواقع، وجدت صعوبة كبيرة في الرد؛ كيف يمكن وصف صداقة حقيقية مبنية على أسس متينة وهادفة، وفي إحدى أرقى مؤسسات تكوين المكوّنين، وهي المدرسة العليا للأساتذة بالقبة، ولمدة تفوق الأربعين سنة؟

متى نستطيع منح صفة حميدة لشخص، مثل الصداقة؟ صفة نبيلة مشتقة من الصدق، إنها مستحقة إن دامت مدى الحياة؛ الأستاذ يوسف عتيق كان فعلا صديقي. أرجو من الله عز وجل أن يُسكنه فسيح جنانه وأن يرزقني الجنة للالتقاء به في الدار الدائمة التي لا فراق فيها، إن شاء الله.

التعارف معه دُبّر بليل. عرفت مرحلة السبعينيات نشاطات وتفاعلات مهمة من الخَيْرين المؤمنين الغياري على الوطن، على مستوى الجامعات، لتثبيت الهوية الوطنية بعد الاستقلال، وإعطاء اللغة العربية المكانة التي تستحقها، وذلك لإيمانهم أنه لا يمكن لأمة أن ترقى إلى مستوى يليق بها إلا بلُغتها.



يوسف عتيق بجانب عبد الحفيظ مقران خلال مداخلة في الأيام العلمية الأولى للمخبر الأورو المغاربي للرياضيات وتفاعلاتها (جوان 2010)

لقد كان تكوين الأساتذة الجامعيين آنذاك في الغالب بالفرنسية، وكان بعضهم يجتهدون ويسعون للتحكم في اللغة العربية والتدريس بها. والعزيز الراحل الأستاذ يوسف عتيق كان واحدا منهم. وبسبب إصراره وعزيمته على تحقيق ذلك، ذاع صيته في هذا الفريق المؤمن بأهمية أخذ العربية مكانتها. حدّثني أحد الأصدقاء، رحمه الله، عنه وعن أهمية التنسيق معه لخدمة اللغة العربية وقضايا الأمة المصيرية، وعن البحث والسعي لإيجاد وسيلة للاتصال به. ولحسن

الحظ ومشينة القدر كان الأستاذ يوسف عتيق قاطنا في عمارة مقابلة للعمارة التي أسكن فيها، فسعيت للتعرف عليه والتأكد مما سمعت عنه.

وبالمناسبة كان لي صديق يسكن في حيّ قريب، له نفس نوع السيارة التي يمتلكها الأستاذ عتيق. انتظرته بعدما نزل من سيارته، ألقيت عليه السلام فردّ بكل تواضع واحترام. سألته إن كان لديه خبرة في مثل هذه السيارات، فأجاب على العموم لا بأس. أخبرته هل بإمكانه تقديم مساعدة لصديق لي بالجوار يملك نفس نوع السيارة وبها عطب لم يعرف كيف يعالجه؟ فسرت بنتيجة المسعى وبرده السريع والكريم على تقديم المساعدة. وهكذا كان أول اتصال بيننا. لم أذكر جهدا في هذه اللقاء الأول لتوطيد أواصر العلاقة، وتمّ ذلك بإذن الله، وبقينا أصدقاء حتى غادر.

إنه من الصعب الكلام عن الأستاذ يوسف عتيق دون ذكر الأستاذ خالد سعد الله. لقد كانت لهما نظرة بعيدة وعميقة، أترى كل واحد منهما المكتبة الجزائرية بترجمة أهم الكتب في الرياضيات التي تغطي برامج دبلوم الدراسات العليا في الجزائر. كانت المبادئ التي تجمعتها قوية جدا، مما ساعد على توطيد أواصر الصداقة المثمرة.

آنذاك، كنت أعمل أستاذا للرياضيات في المتوسط، ثم مفتشا للرياضيات في التعليم المتوسط. بفضل الله، ثم بفضل الأستاذ عتيق، التحقت بالمدرسة العليا للأساتذة كمعيد، وبعدها استفتدت مثل الكثيرين من المنح التي خصّتها الدولة لتكوين أساتذة للتعليم العالي بالخارج. كنا دوما على تواصل وتشاور نحن الثلاثة (عتيق، وسعد الله، وأنا). لقد جمّعنا حب الوطن والتفاني في خدمته وعدم الجري وراء المسؤوليات وعدم رفض اقتراح أي مسؤول للقيام بأي عمل لصالح المدرسة والجامعة الجزائرية. أعتقد أن هذا المعيار في اختيار الأصدقاء نموذجي وتؤتي ثماره إن شاء الله؛ صداقة المصلحة العامة فيها هي السائدة.

لقد كان المرحوم يتميز بالصلابة في الرأي الصحيح، لئّن المعاملة، غنيا وسخيا في علمه. لا داعي في نظري أن أحدث عن نزاهته العلمية ولا عن مناقب الرجل الأخلاقية لأنني لا أستطيع أن أوفيه حقه.

كان الأستاذ يوسف عتيق رجل "داره"، وهي تمالوس مسقط رأسه، يتباهى بفضائل أهلها ويفخر بهم؛ ثم رجل "دوّاره" وهو الجزائر، معتزًا بوطنه، ممجداً لبطولاته، مدرگا لضرورة المساهمة في بنائه؛ ثم رجل "عرشه"، وهو الأمة العربية التي كان يؤمن بضرورة وحدتها لتتفجر الطاقات الإيجابية لأبنائها، حتى تتمكن من المساهمة في بناء الحضارة الانسانية من جديد. وكان يتمنى لو أن الجزائر بشهامة أبنائها وغيرتهم على مقدساتهم، مجاورة لفلسطين والعراق.

لقد كان الأستاذ يوسف عتيق بمثابة المسؤول الأول، ونعم المسؤول، سواء كرئيس قسم أو مدير مخبر المعادلات التفاضلية الجزئية غير الخطية وتاريخ الرياضيات، أو كرئيس تحرير المجلة المغاربية للرياضيات، أو رئيس الجمعية الجزائرية للرياضيات، أو نائب المدير المكلف بالبحث العلمي للمدرسة، أو كرئيس المجلس العلمي للمدرسة. لم نشعر يوما أنه تفرد بالقرار، أو لم يطرحه للتشاور. لقد كنا فريقا متجانسا، في بعض الأحيان نتحاور بقوة للتوصل إلى ما هو أفضل، حتى ظنّ البعض من الذين لا يعرفوننا جيدا أننا نتخاصم، ومباشرة بعدها يروننا معا كأن شيئا لم يحدث. كنا نتحاور ونتجادل بقوة فقط من أجل التوصل للقرار الأمثل.

لقد كانت أهدافنا وغاياتنا، نحن الثلاثة، واضحة. رسمنا خطة عمل لتحقيق ما نؤمن به، تهدف في الدرجة الأولى إلى رفع المستوى العلمي في المدرسة، وترسيخ استعمال اللغة العربية في تدريس المواد العلمية، والسعي للاصطفاف مع المؤسسات العلمية الراقية في داخل وفي خارج الوطن. ونشهد هنا أن أغلبية المسؤولين الذين تعاملنا معهم، رغم الاختلاف في الرؤى في بعض الأحيان، لم يدخروا أي جهد في الدعم والتشجيع بعد أن لمسوا الصدق في نوايانا وعدم الطمع أو السعي والمزاحمة في تولي المسؤوليات.

أما الخطة التي كنا نعمل بها فتعتمد على ثلاثة مرتكزات:

(1) المرتكز الأول، محلي: ضرورة إنشاء وتكوين فريق قوي داخل المدرسة، وخاصة في القسم والمخبر. وقد تحقق ذلك بفضل الله وبفضل تواجد مجموعة متماسكة من الأساتذة الأكفاء المؤمنين بواجبهم نحو الأكرمين منا جميعا وهم الشهداء، الذين ضحوا بأغلى ما يملكون، أرواحهم، من أجل تحرير الجزائر وضرورة إعادة الثقة في النشء لينهضوا بالبناء. وذلك بإبراز المساهمات الجبارة للأجداد في العلوم بصفة عامة والرياضيات بصفة خاصة، حتى لا ينساقوا وراء ما يُروج أنه ليس لدينا ما نفتخر به.

وثُوجت نتائج هذا المرتكز ببدء جني ثماره، حيث تم عقد أول ملتقى حول تاريخ الرياضيات العربية بالجزائر سنة 1986، وتبعتها فتح ماجستير في تاريخ الرياضيات. كان هدفنا هو إعادة الثقة للأجيال في أنفسهم بعد فترة كبيرة من القهر والتجزئة والاحتلال. وبالإضافة إلى ذلك، تم فتح ماجستير في التحليل التابعي وتنظيم سلسلة من المحاضرات ذات مستوى عال في الرياضيات، ساهم فيها ألمع الباحثين من داخل وخارج الوطن، وما زال هذا التقليد مستمرا حتى الساعة. وتم عقد عدة ملتقيات دولية في الرياضيات. ونشير في الأخير إلى أن المتميزين من طلبة المدرسة كانوا يحصدون بامتياز أغلب منح الرياضيات للدراسة في الخارج.

(2) المرتكز الثاني، وطني: العمل على توطيد العلاقات والتواصل مع الزملاء في الرياضيات بأغلب الجامعات الجزائرية، وذلك بتقديم نشاطات متميزة من تأطير وتنظيم ملتقيات دولية عالية المستوى، وبمساهمة بعض الزملاء الجزائريين من خارج الوطن. أعتقد أننا نجحنا إلى حد بعيد في ذلك. ولمن أراد التأكد فليسأل الرياضياتيين الجزائريين.

(3) المرتكز الثالث، دولي: فك العزلة عن الباحثين في قسم الرياضيات وفي المخبر وفي المدرسة بتنظيم اتفاقيات تعاون مع عدة جامعات أجنبية راقية، لتمكين أعضاء أسرة الرياضيات من الاستفادة من الملتقيات والتظاهرات والمحاضرات الخاصة لكل من يرغب في ذلك من الرياضياتيين الجزائريين

لقد ساهم كل عضو من الفريق في قسم الرياضيات أو في المخبر بطريقته الخاصة، وتولى القيام بما يجيد فعله. أعتقد أن ثمار هذا الجهد يشهد بها كلُّ من تابع دراسته بالمدرسة، أو درّس فيها، أو ساهم كأستاذ زائر، من داخل أو من خارج الوطن، "لا نزكي أنفسنا، الله أعلم بمن اتقى".

الحمد لله، أننا مسلمون، وندرك أن هذه الحياة فانية. لقد كان فراقه صعبًا جدًا عليّ، أدعوه بالرحمة والغفران كلما ذُكر، وأرجو من كل من يعرفه أو سمع عنه ألا يبخل عليه بالدعاء والرحمة. ثم أيها العزيز الغالي قدير العين، إننا على العهد باقون ما دمنا في هذه الدار، إن شاء الله.



خلال إلقاء محاضرة في مؤتمر مغاربي بجامعة طنجة سنة 2015

شهادة الأستاذ عبد العزيز شوتري

قسم الرياضيات، المدرسة العليا للأساتذة-القبلة

مع المرحوم الأستاذ يوسف عتيق في المجلة المغربية للرياضيات (MMR)

في سنة 1994، جاء الأستاذ محمد عمارة إلى المدرسة العليا للأساتذة بالقبلة، وطلب من الأستاذ عبد الحفيظ مقران أن تتكفل المدرسة بالإشراف على المجلة المغربية للرياضيات التي بدأت الصدور من جامعة باب الزوار. لم يتردد الأستاذ مقران، كعادته في مثل هذه المواقف، في القبول، وطلب من الأستاذ يوسف عتيق الإشراف عليها، وطلب مني المرحوم مساعدته في ذلك. ومن عادتنا ألا نناقش الأستاذ فيما يطلبه، رغم معرفتي بصعوبة العمل معه لأنه كان دائما يسعى إلى إتقان العمل.

بدأنا العمل في الطابق السادس، في مقر الجمعية الجزائرية لتاريخ الرياضيات. وكانت الجمعية تملك حاسوبا متواضعا، فطلب مني بالتعاون مع الأستاذ محمد العيد قادري تنصيب برنامج التاخ TEX، المخصص لطباعة ونضد النصوص العلمية. كان هذا البرنامج جديدا علينا. وكان جديدا حتى في العالم كله حيث لم تمض على إصداره بضع سنوات. وكان أغلب الباحثين -إن لم نقل جميعهم- يستعملون "الوورد" Word. وبعد جهد جهيد، نصّبنا البرنامج على الحاسوب حيث كان البرنامج مقدّما في عشرات الأقراص، وفي بعض الأحيان يتوقف عند قرص معين فنضطر للإعادة. وفي تلك الأثناء كان المرحوم يراقبنا ويمارحنا بابتسامته المعهودة ويقول: "كيف لم تستطيعوا لحد الآن تنصيبه؟" ويستفزنا قصد تحفيزنا فلا نفشل ولا نتراجع.

حينها، لم يكن من أعضاء طاقم المجلة من ناقش رسالة الدكتوراه إلا الأستاذ عتيق والأستاذ محمد السعيد مولاي. وكان هذا الأخير غائبا آنذاك ويتعذر عليه الحضور، ومع ذلك ترك الأستاذ عتيق اسمه ضمن الطاقم قائلا إنه صديقي ولا أريد الزيادة في ظلمه. طلب منا المرحوم ألا ننشر مقالاتنا في المجلة حتى لا يفهم الناس أننا نريد الاستفادة الشخصية منها.

كان الأستاذ المرحوم قد تعلم برنامج "التاخ" وأتقن استعماله عندما كان في زيارة لجامعة بواتيه Poitiers بفرنسا. وعندما استلمنا أرشيف المجلة وجدنا معظم المقالات مقدّمة بصيغة "الوورد" أو "بي دي أف"، فطلبنا منه إعادة إرسالها لأصحابها ليعيدوا كتابتها بالتاخ، لكنه رفض وقال لنا هذه أول مجلة علمية جزائرية ومغربية، يجب الاهتمام بمضمون المقالة في البداية، وأما الشكل فسأهتم به أنا.

بدأنا بتصنيف المقالات حسب الاختصاص تحت إشرافه، وإرسالها إلى المحكّمين، وكان هو من يرسل المحكّمين. ومن تواضعه، كان كلما كتب نصا سواء بالعربية أو الفرنسية أو الانكليزية عرّضه عليّ قائلا: تفضّل راجعه، ربما توجد أخطاء، فأقول له: كيف أصح بعدك يا أستاذ؟ فيقول: الأخطاء دائما موجودة، وليس القارئ كالكاتب. فكُنْتُ أجهد نفسي لعلّي أجد أخطاء مطبعية، أما اللغوية فلا أتذكر أنني وجدت له خطأ. أستفزه أحيانا وأقول له: في العربية نقول كذا ولا نقول كذا، فيُخرج لي من مكتبة الجمعية كتاب "النحو الواضح"، وهو كتاب من ستينيات القرن الماضي، ويعتبره الأستاذ مرجعا، ويقول "النحو الواضح" لا يخطئ.

بمجرد الاتفاق على الإشراف على المجلة، بدأ يُعدّ لها نموذجا خاصا باستعمال "لاتاخ" Latex، وسماه "fati.cls" على اسم ابنته الوحيدة. والعارفون ببرنامج "التاخ" يدركون صعوبة إنجاز هذا النموذج حيث تُراعى فيه أنواع الخطوط وأحجامها، والفراغات في النص، وكيفية كتابة النظريات والتوطئات والنتائج وغيرها، وبراهينها، وكيفية إدراج الرسومات، إلخ.

ومع استلامنا للمقالات الأولى المقبولة، كان النموذج جاهزا. طلب مني المرحوم مساعدته على إعادة كتابة المقالات المقبولة ببرنامج "التاخ". وبطبيعة الحال، كان هو صاحب النصيب الأكبر في هذه المهمة. وهكذا أعدت الأعداد الأولى بنفس الطريقة ونفس العزيمة والجهد. وعلى يده، وتحت إشرافه نالت المجلة تصنيف جمعية الرياضيات الأمريكية (AMS) American Mathematical Society.

كنا نرسل كل مقالة إلى مُحكّم، وبعد شهرين نُذكره إذا لم يأتنا الرد، وبعد شهرين آخرين نرسلها إلى مُحكّم آخر، وهكذا حتى نحصل على ردّ، فإن كان سلبيا نرسل المقالة إلى مُحكّم ثانٍ. كانت العملية تستغرق أكثر من ستة أشهر في بعض الأحيان. وكان المرحوم هو من يقوم بالمراسلة والرد على معظم الاستفسارات من أصحاب المقالات. وذات يوم، راسلنا صاحب مقالة -كان أرسل مقالتي- متهماً إيانا بعدم النزاهة العلمية بأسلوب غير حضاري، وطلب منا سحب مقالتيه موضحاً أنه أرسلهما إلى مجلة أخرى وقبلت نشرهما! أطلعني المرحوم على الرسالة فقرأتهما، وكانت جدّ مستفزة، فطلبت منه أن يسمح لي بالردّ عليه، فقال ليس الآن، حتى لا تنزل إلى مستواه. وبالفعل، بعد أيامٍ جاءنا ردّ سلبى من المحكّم الأول على المقالة الأولى، وكان أستاذا مختصا، وله سمعة عالمية، فطلبت من هذا الأستاذ أن أفصح عن اسمه لدى المؤلف فقبّل. راسلت صاحب المقالين وقلت له ها هو الأستاذ فلان يرفض مقالتيك، أما مقالتيك الأخرى فهي عند محكّم آخر. ونظرا لأسلوبك، أعتقد أن ردّه سيكون سلبيا أيضا. أُعجب الأستاذ عتيق بردي، وحينها قال لي: أتعرف من صاحب هذين المقالين؟ فقلت له: لا، فقال لي: هو صاحب رسالة الدكتوراه التي اعتذرت عن العضوية في لجنة مناقشتها لعدم اختصاصي... وفي الحقيقة كانت بها أخطاء علمية، فلم أرد أن أكون شاهد زور! فاستغربت أنه لم يخبرني أول مرة عندما أطلعني على الرسالة. فقال لي لم أرد أن تتأثر بما سبق، فربما تكون المقالات جيدة ونظّم الرجل. أما وقد كان ردّ المحكّم سلبيا فقد أخبرتكم. هكذا كان جلم الأستاذ المرحوم عتيق، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



شهادة الأستاذة دوجة هبّول

قسم الرياضيات، المدرسة العليا للأساتذة-القبّة

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة وذكريات

مهما عَظُمَ مقام الكلمات ونسج العبارات فمن المحال أن ترقى لمدح الأستاذ، المغفور له بإذن الله، يوسف عتيق. إن المرحوم مثالٌ يُقتدى به في الأخلاق والعمل والنشاط والانضباط. كان أستاذًا جامعياً، لكّني أفضل تلقيه بالمعلم لما تحمله هذه الكلمة من معاني جدّ سامية. إنها كلمة لا تعني فقط تلقين العلم، بل تلقين الأخلاق الحميدة، والشعور بالمسؤولية، والتفاني في العمل، وغيرها من الأعمال الصالحة.

سأذكر في هذه الأسطر طائفةً من الذكريات اختبرتها من عهدين ريطاني بأستاذي: عهدٌ كنت فيه طالبته؛ وعهدٌ تالٍ كنت فيه أستاذة أقوم بالأعمال الموجهة للوحدة التي كان هو مكلّفًا بتدريسها.

بعدما تحصلت على شهادة البكالوريا، التحقت بالمدرسة العليا للأساتذة-القبّة قصد تحضير شهادة الليسانس في الرياضيات. كانت مدة الدراسة في ذلك الوقت أربع سنوات، وتُمكن تلك الشهادة صاحبها من التدريس في الثانوية. سجلتُ في فرع العلوم الدقيقة باللغة الفرنسية. وكان المرحوم الأستاذ عتيق آنذاك، يقدم دروس الرياضيات لطلبة السنة الأولى الذين يدرسون باللغة العربية فقط، فلم يحالفني الحظ أن أكون من بين طلبته إلى أن أصبحت في السنة الرابعة. في تلك السنة، تقرر دمج مجموعتي السنة الرابعة رياضيات في مجموعة واحدة. وكانت الدراسة باللغة العربية. لا أنكر أنني تخوفت منه في البداية، وهذا راجعٌ لما سمعته من شائعات حوله، مثل كونه صعباً وغير متفهم. لكن، بعد أول حصّة لي معه، فهمت أنها شائعات كاذبة من بعض الطلبة الذين كان همهم النجاح دون بذل أي جهد. ولو كانت مواقع التواصل الاجتماعي موجودة في ذلك الوقت لسمعنا من يمدحه من الطلبة النجباء. في تلك الحصّة، أي الأولى، أذكر جيداً كيف توجه نحوي وبيده طبشور طالباً مني، بابتسامة على وجهه، المرور إلى السبورة. فما رأيت منه في تلك الحصّة أو في غيرها إلا أستاذاً متفانياً في عمله، وصبوراً متخلّفاً مع طلبته.

كان، رحمه الله، يلتحق بقاعة التدريس دائماً قبل موعد الحصّة، لم يأت أبداً متأخراً. وبالنسبة للحصّة التي تبدأ على الساعة الثامنة والنصف صباحاً، كان يلتحق بالقاعة قبل الساعة الثامنة، وكانت هذه فرصة يغتنمها الطلبة لطرح أسئلتهم عليه، حول الدرس أو حول التمارين. علاوة عن الجانب العلمي. كانت لا تكاد تمرّ حصّة من حصصه إلا ونتعلم منه أشياء كثيرة تفيدنا في الحياة العامة، مثل: عدم التهور، عدم التبذير، تنظيم الوقت، عدم فقدان الأمل وغيرها.

بعدما تحصلت على شهادة الليسانس، انتقلت إلى مرحلة ما بعد التدرج، وكان المرحوم من بين الأساتذة المشرفين على الماجستير. وأثناء تكويننا، الذي دام سنتين، انهرت بإتقانه الجيد للغتين الفرنسية والإنجليزية لأنه لم يستعملهما أبداً معنا، ولو بالخطأ، في مرحلة الليسانس حيث كان يشجعنا ويحثنا على إتقان اللغة العربية. كما علمت منه بعد بضع سنوات أنه تعلم اللغة الروسية حتى يتمكن من مطالعة الكتب الروسية وأيضاً ترجمتها إلى العربية.

بعدما أنهينا السنتين، اقترح علي موضوع مذكرة الماجستير، وخصّص أول لقاء لي معه لتعليمي كيفية تقديم العمل له، من حيث التنظيم والشكل وعلامات التقييم. ولما وصلت إلى نسبة كبيرة من التقدم في البحث، طلب مني تعلم برنامج "التاخ" Tex، وهو نظام للصف الطباعي يُستخدم عموماً لكتابة النصوص العلمية. كان "التاخ" في ذلك الوقت -بداية التسعينيات من القرن الماضي- حديث الاستعمال في الجزائر، وكان أغلب الباحثين، وربما جميعهم،

يكتب بـ"الورد" Word. وكان الأستاذ عتيق قد أتقن استعمال "التاخ"، وهذا يدل على مدى رغبته في ازدهار ورقي الجامعة الجزائرية. وبفضله تعلمت استخدام "التاخ"، وكتبت به مذكريتي. بعدما تحصلت على شهادة الماجستير، وكُلفت بتقديم حصص الأعمال الموجهة لوحدة القياس والمكاملة، الوحدة التي كان رحمه الله مسؤولاً عنها، وجدت نفسي أتعلم منه أشياء جديدة تخصّ التدريس لم أنتبه إليها وأنا طالبة. أذكر ذات يوم أننا كنا، المرحوم وأنا، ننتظر في الرواق التحاق الطلبة بقاعات الدراسة، وكان البعض منهم في إضراب، قدمتُ إلي طالبة تستأذن مني الحضور لحصة الأعمال الموجهة. وهي لم تكن من الفوج المعني بتلك الحصة. فقلت لها لا مانع في ذلك إذا التحق بعض طلبة الفوج بالحصة، وللأسف لم يحضر الطلبة، فانصرفت. عندها نصحتني أستاذي، رحمه الله، بعدم صدد طالب العلم. فهمت حينها أن التعليم مهنة مقدسة ومسؤولية كبيرة.

كان الأستاذ المرحوم يوسف عتيق يطلب مني أحيانا اقتراح تمارين للامتحانات قصد تكويني، فيقوم بمناقشتها معي. ومن بين الأمور التي نهيها إليها هو الاهتمام بطريقة كتابة موضوع الامتحان. مثلا، إذا استعملت حرفا معيناً للدلالة على مجموعة أو تطبيق في تمرين، لا نعيد استعمال ذلك الحرف في تمرين آخر تجنبا لجعل الطالب يخلط بين معطيات التمارين، أي لورمزنا لتطبيق في التمرين الأول بـ f وكان ذلك التطبيق متزايدا، وأعدنا استعمال الحرف f لأجل تطبيق آخر في التمرين الثاني، ولم يكن متزايدا، فسهوًا يمكن أن يعتبر الطالب في التمرين الثاني f متزايدا. كان، رحمه الله عليه، يسعى دائما للقيام بأعماله على أكمل وجه.

صدق في أستاذنا، المغفور له بإذن الله، يوسف عتيق قول الشاعر أحمد شوقي:

فُمٌ للمعلّم وقّه التبجيلا * كادَ المعلّم أن يكونَ رسولا**

أعلمت أشرفَ أو أجلاً من الذي * يبني وينشئُ أنفساً وعقولا**

وخير ما أختتم به، قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، "إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من

صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

اللهم أنزل أستاذنا منازل الصديقين، والشهداء، والصالحين، اللهم آمين.

